رسالة خاصة من ألمانيا:

ضاع شتراوس وبقى الأمل فى السلام

ربما لم يكن فرانز جوزيف شتراوس زعيم المعارضة المهزوم فى ألمانيا الغربية يؤمن كثيرا بقراءة الكف . ولكن رجال حملته الانتخابية مع ذلك وزعوا على الناخبين قاموسا للتعريف به . كان أهم ما ورد فيه أن العرافين تنبأوا لمرشحهم بأن شهر أكتوبر ١٩٨٠ سيكون هو شهر مجد أمجاده . .

أكتوبر

ولأن العرافين كذابون وان صدقوا . فقد كان هذا الشهر نفسه هو الشهر الذى ضاع فيه مستقبل شتراوس السياسى كلية .

ورغم أن السياسة تؤمن بالتنبؤ بل تحض عليه فإن التنبؤ السياسى غير التنبؤ الذى يمارسه العرافون والمنجمون . لذلك فإن ما خيب آمال الزعيم الطامح دائما للديمقراطيين المسيحيين فى ألمانيا الغربية ليس هو كذب العرافين إنما فشله هو نفسه وسائر أنصاره فى التنبؤ بالاتجاهات الحقيقية للناخب الألمانى .

لماذا الفشل ؟

كان السبب الأقوى لذلك الفشل هو إيمان شتراوس الطاغى إلى حد انعدمت معه الرؤية الواقعية بأنه هو رجل الساعة فى ألمانيا . أو بعبارة أدق هو الرجل المناسب الذى يتمثل فيه اللقاء بين البطل والظرف التاريخى . فما هى المواصفات التى جعلت من شتراوس فى نظر نفسه البطل الموعود . وما هى الظروف المحلية فى ألمانيا والدول المحيطة بها التى تتطلب من وجهة نظر شتراوس رجلا من طرازه ؟

دخل شتراوس الحياة السياسية لأول مرة عام ١٩٤٩ حينما انتخب عضوا فى البرلمان . وفى ١٩٥٣ عين وزيرا للمهام الخاصة فى الحكومة الاتحادية . وفى عام ١٩٥٥ عين وزيرا للطاقة ثم شغل منصب وزير دفاع ألمانيا الاتحادية فى الفترة من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٦٢ . وفى الفترة من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٦ شغل منصب وزير [illegible] عام ١٩٧٨ ظل يشغل منصب رئيس [illegible] . ثم انتخب زعيما للحزب [illegible] لتكتل المعارضة بعد [illegible] السابقة بزعامة [illegible]

وينتمى شتراوس إلى الجناح اليمينى المتشدد فى الحزب الديمقراطى المسيحى . ويتحلى بروح صليبية فى معداته للشيوعية وإحساسه الدائم بالخطر الماحق الذى يتهدد ألمانيا والعالم الحر بصفة عامة . ولذلك فإنه أبعد الساسة الألمان عن المهادنة والوفاق .

وأدار شتراوس حملته الانتخابية على محور واحد تقريبا هو مناهضة سياسة الانفتاح على الشرق التى تبناها الائتلاف الحاكم منذ وصوله إلى الحكم بزعامة فيلى برانت المستشار السابق والتى أسفرت عن تحسين العلاقات مع السوفيت والاعتراف المتبادل وتبادل العلاقات مع جميع دول شرق أوروبا بما فيها ألمانيا الشرقية .

واستغل شتراوس المكتسبات الهائلة التى أحرزها النفوذ السوفيتى فى العالم فى الفترة الأخيرة لكى يطلق العنان لساقه الطامح . فيحذر الغرب من الوفاق ومهادنة السوفيت ويكيل الاتهامات القاسية لمنافسه الأنيق هيلموت شميت بأنه الغربة فى يد الجناح اليسارى لحزبه . وأن سياسته المستمرة فى انفتاحها على الشرق ستجر أعظم البلاء على ألمانيا وعلى الغرب معها . وكانت أحداث أفغانستان ثم الغزو السوفيتى لها المزود المشروع لاتخاذ موقف حاسم فى مواجهة موسكو . ولكن زعماء الغرب – يا للحسرة – انشغلوا بمقاطعة الدورة الأولمبية .

هكذا كان شتراوس – من وجهة نظر نفسه – هو رجل الساعة الذى سيحمى ألمانيا من الخطر الماحق . وبذلك يحمى العالم الحر . لأن ألمانيا من الناحية السياسية والاستراتيجية هى خط الدفاع الأول عن العالم الحر فى أوروبا .

الأنيق المهذب

فى مواجهة ذلك الخصم العنيف كان يقف هيلموت شميت زعيم الائتلاف الحاكم . السياسى الذى يوصف بأنه أنيق ومهذب . وكما أدار شتراوس حملته على محور التحذير من اعتدال شميت أدار شميت حملته على محور التحذير من تطرف شتراوس . فلقد اتخذ

نجح هلموت شميت فى كسب ثقة الشعب الألمانى
ليحتفظ بمقعد المستشارية لأربع سنوات أخرى

جوزيف شتراوس ▲

شميت شعارا لحملته عبارة واحدة هى . أن شتراوس رجل غير قادر على صنع السلام .

ويبدو أن ذكريات الحرب الباردة المريرة التى كانت ألمانيا ميدانها الأول لا تزال ماثلة فى أذهان الألمان فاختاروا الاعتدال ونبذوا التطرف . ولم يشفع لشتراوس تعصب الألمان الجنوبيين فى بافاريا له ولا إحياؤه لذكريات عهدى كونراد أديناور ولودفيج إيرهارد زعيمى الحزب الديمقراطى المسيحى السابقين والرجلين اللذين يرجع إليهما الفضل الأول والأخير فى بناء ألمانيا بعد الهزيمة .

وبالطبع كانت هناك قضايا أخرى أثيرت أثناء الحملة الانتخابية ولكن الائتلاف الحاكم الذى تسوده الروح البروتستانتية الغالبة بين الألمان (على عكس الروح الكاثوليكية السائدة بين الديمقراطيين المسيحيين) استطاع على ما يبدو إقناع الناخب الألمانى بجديته فى معالجة قضايا البطالة والتضخم والبحث عن دور سياسى نشط فى إطار التحالف الغربى والجماعة الاقتصادية الأوربية .

وكانت كل استطلاعات الرأى العام تؤكد أن الائتلاف الحاكم المكون من الحزب الاشتراكى الديمقراطى بزعامة شميت والليبرالى الحر بزعامة جيشر وزير الخارجية هو الذى سيفوز . وبالرغم من ذلك فلم يكن أحد يتوقع زيادة الفارق فى عدد الأصوات فى البرلمان بين الائتلاف الحاكم والمعارضة من ١١ صوتا إلى ٤٠ صوتا . وهكذا كانت النتيجة مفاجأة قاصمة وقاسية لشتراوس الذى أجمعت المصادر كلها على أنه سيعتزل السياسة نهائيا عما قريب .

وهكذا أيضا لم تكن مفاجأة للمتتبع للأحداث الداخلية والخارجية على الصعيد الألمانى أن ينجح هيلموت شميت فى كسب ثقة الشعب الألمانى ويحتفظ بمقعد المستشارية لأربع سنوات جديدة .

فالناخب الألمانى الذى مازالت ويلات الحرب العالمية بذهنه والذى نوتر أعصابه كثيرا بفعل الحرب الباردة التى دارت رحاها فى السنتيمات على الأرض الألمانية كان من الطبيعى أن يفضل الاعتدال على التطرف والاتزان على التهور والتسرع . فأهم ما كان يميز شميت على منافسه شتراوس مرشح الحزب الديمقراطى المسيحى والحزب المسيحى الاجتماعى هى صفاته الشخصية . الهدوء والاتزان وعدم النزقة والتمتع بقدر كبير من ضبط النفس . أما شتراوس بحماسته البافارية المعتادة فقد كان انتخابه مستشارا لألمانيا مقرونا بعلامة استفهام كبيرة تحيط بمستقبل ألمانيا

وبالطبع كان لتلك الصفات الشخصية التى يتمتع بها هيلموشميت التركيز فى رسم السياسة الألمانية على الصعيدين الداخلى والدولى وخطوط السياسة العريضة التى وضعها شميت مع حليفه الليبرالى هانز ديتريش جنشر التى تحارها وأصدر المواطن الألمانى والعالم عليها حكمه فى أكثر من مناسبة . لذلك لم يجد شميت نفسه مضطرا للتردى فى الحرب الكلامية التى كان يحاول شتراوس أن يجره إليها .

وإذا أردنا أن نعرض كشف حساب هيلموت شميت فى السنوات التى حمل فيها عبء توجيه السياسة الألمانية فنجد أنه مشرف ويحفز أى ناخب على إعادة اختيار شميت .

فعلى الصعيد الداخلى فإن ألمانيا هى أقل الدول الصناعية الكبرى فى العالم تعرضا للارتفاع فى الأسعار . كما أن حكومة شميت استطاعت أن توفر ٩٠٠ ألف مكان عمل جديد فى الثلاث السنوات الأخيرة . وبغض النظر عن اليابان فإن ألمانيا هى أقل دول العالم الصناعية معاناة من البطالة .

أما عن العلاقة بين الدولتين العظميين فألمانيا بحكم موقعها الاستراتيجى يرى شميت أنها لابد أن ترحب بأية محاولة للتباحث والتقارب بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى . فعدم استمرار سياسة ازالة التوتر بين الدولتين يعنى إعطاء الاشارة الخضراء للصراع الساخن الذى ستدور رحاه أول ما تبدأ على الأرض الألمانية .

وعن العلاقة مع الشقيقة الألمانية فى الشرق فقد كان من المقرر أن يلتقى شميت بالسكرتير العام للحزب الشيوعى فى ألمانيا الشرقية أريش هونيكر ولكن هذا اللقاء أرجيء إلى ما بعد الانتخابات بعد أن حدثت بعض المتغيرات الجديدة على الصعيد الدولى . ولم يشأ شميت مطلقا أن يلعب بورقة التقارب الألمانى فى الانتخابات العامة . ولقد صرح شميت أن الحوار مع ألمانيا الشرقية يجب أن يستمر . ولنبدأ مثلا بالتقارب الاقتصادى والفنى . ففى نوفمبر القادم سيقام أول مهرجان لأفلام ألمانيا الغربية فى ألمانيا الشرقية .

ومن وجهة نظر شميت نفسه نجد أن الأسباب التى أدت إلى فشل شتراوس فى القفز إلى مقعد المستشارية هى :

١ – أنه لن يكون قادرا على تحقيق علاقة جوار طيبة مع الجيران الألمان .

٢ – أنه لا يستطيع أن يستوعب جيدا أفكار الآخرين .

٣ – لم يدرك حتى الآن أن اتفاقيات السلام يجب أن تخلو من كلمتى عندما ولكن .

على أن أوضح مدلول لنتيجة الانتخابات الألمانية حتى الآن هو أن الأحاديث المتوالية عن التوسع السوفيتى لم تفلح حتى الآن فى تغيير مزاج المواطن فى الغرب بحيث يتحول من الرغبة فى التهدئة إلى التوجس من الحرب . لذلك ثمة تساؤل يثور فى النهاية . هو هل يمكن اعتبار هذه النتيجة مؤشرا مسبقا عن النتيجة المحتملة لصراع كارتر ريجان فى انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة مع الأخذ فى الاعتبار الاختلافات ذات الطابع الخلى بين ألمانيا والولايات المتحدة ؟ .

للإجابة تقول ربما . . ولم لا . . أليس عيب كارتر الأول فى نظر ريجان هو الاعتدال إلى حد العنف فى مواجهة موسكو . وكذلك أليس عيب ريجان فى نظر كارتر هو التشدد إلى حد التطرف فى مواجهة الاتحاد السوفيتى .